

عصمة الأنبياء في القرآن الكريم

(76) طيلة حياتهم وتشدد عليهم الـآزمة والمحنة من جانب المخالفين، فكانوا يعيشون بين أقوام كأنهم أعداء ألداء، وكان المؤمنون بهم في قلّة، فصارت حياتهم المشحونة بالبلايا والنوازل، والبأساء والضراء، مظنة لأن يتخيّل كل من وقف عليها من نبي وغيره، أن ما وعدوا به وعد غير صادق، ولكن لم يبرح الوضع على هذا المنوال حتى يفاجئهم نصره سبحانه، للمؤمنين، وإهلاكه وإبادته للمخالفين كما يقول: (فَنذِجِرْ سَيِّمًا مَّنْ نَّشَاءُ وَلَا يُرْدُّ بِأَسُنَا عَنْ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ). (1) ويشعر بما ذكرناه قوله سبحانه: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتَّخَذُوا الْجِنَّةَ وَلِأَيِّكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُهُ أَلا إِنَّا نَصْرُهُ اللَّهُ قَرِيبٌ). (2) فالمراد من الرسول هو غير النبي الأكرم من الرسل السابقين، فعندما كانت البأساء والضراء تحقق بالمؤمنين ونفس الرسول، وكانت المحن تزلزل المؤمنين حتى أنزلها كانت تحبس الـأنفاس، فعند ذلك كانت تكاد تلك الـأنفاس المحبوسة والآلام المكنونة تتفجر في شكل ضراعة إلى الله، فيقول الرسول والذين آمنوا معه (متى نصر الله؟) فإن كلمة (متى نصر الله) مقرونة بالضراعة والالتماس، تقع مظنة تصور استيلاء اليأس والقنوط عليهم لا بمعنى وجودهما في أرواحهم وقلوبهم، بل بالمعنى الذي عرفت من كونه ظاهراً من أحوالهم لا من أقوالهم. وما برح الوضع على هذا إلى أن كان النصر ينزل عليهم وتنقشع عنهم سحب اليأس والقنوط المنتزع من تلك الحالة. هذا ما وصلنا إليه في تفسير الآية، ولعلّ القارئ يجد تفسيراً أوقع في النفس مما ذكرناه. _____ 1 . يوسف: 110. 2 . البقرة: 214.